الخِطَابُ الدِينِي المُعَاصِر بَيْنَ التَّيْسِيرِ والتَّعْسِيرِ

د. حوالف عكاشة
كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإسلامية
– جامعة وهران –

المقدمة :

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد :

من مستلزمات هذا الدين الذي يدعو الناس إلى الصراط المستقيم أن يخاطبهم بالتي هي أحسن لا بالتي هي أخشن ، و أن يبشرهم لا أن ينفرهم ، و أن يدعوهم بالتيسير لا بالتعسير .

قال تعالى (**أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَة وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَن**) النحل 152 ، و قال أيضا (**وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِك**) آل عمران 159 .

إن من المقاصد الشرعية في الدعوة الإسلامية مراعاة أحوال الناس من حيث التَّيسير والتَّبشير والتَّلطيف، وأَنَّ السنَّة مَبْنِيَّة على قوله صلى الله عليه وسلم " يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا "، وأن التَّعْسير والشِّدَّة والخُشُونَة مُنَافِيَة لمقاصد الشرع ولِسُنَّة النبي صلى الله عليه وسلم .

و قد أرسل الله كليمَه موسى ووزير كليمه هارون عليهما السلام إلى من قال أنا ربكم الأعلى و هو فرعون، فأمرهما بأن يخاطباه باللين ، **فقال تعالى : " إذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى "** ، فإذا كانت هذه معاملة الله لمن قال أنا ربكم الأعلى ، فكيف هي معاملته لمن قال سبحان ربي الأعلى .

من خلال هذه المقدمة المختصرة نتساءل : هل الذي نلحظه في هذا الزمان من الخطابات الدينية المفعمة بالحماس والعنف والصَّخَب والصُّراخ ، وتقريع الناس وتفسيقهم وإلزامهم وتكليفهم بالعسر، هل كل هذا من الخطاب الديني الذي ارتضاه لنا ربنا ودعى إليه رسولنا صلى الله عليه وسلم ؟

و للإجابة عن هذا الإشكال ، جعلت عنوان مداخلتي : "الخطاب الديني المعاصر بين التيسير و التعسير " .

و قد قسمت هذه المداخلة إلى مقدمة و ثلاثة محاور وخاتمة .

المقدمة: في تحديد موضوع البحث و أهمية الموضوع والإشكالية ومنهج البحث.

المحور الأول : في ضبط مصطلحات البحث .

المحور الثاني : أدلة الشرع في الدعوة إلى التيسير لا التعسير .

المحور الثالث : ملامح من التيسير في الخطاب الديني .

الخاتمة : في النتائج .

المحور الأول : ضبط مصطلحات البحث

الخطاب لغة : الكَلاَم ، وخَاطَبَه مُخَاطَبَة وخِطَاباً : كَالَمَه و حَادَثَه ، وَوَجَّه إليه كَلاَماً [1] .

لقد وردت مادة [خَطَبَ] في عدة مواضع من القرآن الكريم ، منها قوله تعالى (فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب) ص:23 ، و قوله سبحانه (وعباد

---

[1] . لسان العرب لابن منظور ، مادة (خطب)، ومختار الصحاح للرازي، ص : 180، والمعجم الوسيط، ص: 243 .

الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) الفرقان : 63 ، وقوله عز وجل (واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون) هود : 37 ، وقول الحق سبحانه (وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب) ص : 20 .

إلا أن الذي لا بد من الإشارة إليه في هذه الآيات التي ورد فيها لفظ "الخطاب" ، هي الآية الأخير لأنه جاء مقرونا بالحكمة ، مما يدل على معنى أعمق وأرقى وأحسن ؛ وهو وضع الخطاب في موضعه اللائق به مراعيا لحالة المُخَاطَبِ مكانا وزمانا و حالا .

ففصل الخطاب الذي جاء في هذه الآية ، كما فسره ابن عباس : هو بيان الكلام .

إذًا فالخطاب المراد كما قيل ؛ هو الكلام الذي يقصد به إفهام من هو أهل للفهم [2] .

من خلال ما ذكرناه من المفهومين اللغوي و القرآني للفظ الخطاب ، تتأكد لدينا الدلالة الراقية للخطاب على اعتبار أن " فصل الخطاب " لا يتم على الوجه الأفضل إلا إذا اقترن بالحكمة، وكان القصد منه تبيان وجه الحق على أكمل الوجوه و أتمها .

وهذا المعنى هو الذي سنستفيد منه لدراسة موضوع هذا البحث إن شاء الله تعالى .

أما الخطاب اصطلاحا :

---

[2] . الكليات لأبي البقاء الكفوي ، ص : 658 .

عُرِّف بأنه "كل نطق أو كتابة تحمل وجهة نظر محددة من المتكلم أو الكاتب،وتفترض فيه التأثير على السامع أو القارئ مع الأخذ بعين الاعتبار مجمل الظروف والممارسات التي تم فيها"[3]

إذا فالخطاب هو إيصال الأفكار إلى الآخرين بواسطة الكلام المفهوم، واللغة في ذلك هي أداة الخطاب .

لقد تعددت المفاهيم الاصطلاحية للخطاب بتعدد المُخَاطِبين وأفكارهم، فهناك الخطاب السياسي والخطاب الثقافي أو الإعلامي أو الاجتماعي...وقد يكون الخطاب ديني ، وهو موضوع بحثنا، فما هو الخطاب الديني ؟

الخطاب الديني :

هو الخطاب الذي يستند لمرجعية إسلامية من أصول القرآن والسنة والقواعد العامة للشريعة الإسلامية .

المعاصر :

وهو من العصر ، أي الدَّهْر، ومنه قوله تعالى : (والعصر إن الإنسان لفي خسر) العصر : 1، 2 .

فالعصر يطلق على الزمن ؛ جاء في المعجم الوسيط : " والزمن ينسب إلى ملك أو دولة، أو إلى تطورات طبيعية أو اجتماعية ؛ يقال : عصر الدولة العباسية ، وعصر هارون الرشيد ، والعصر الحجري ، وعصر البخار

---

[3] ـ تأويل الخطاب الديني في الفكر الحداثي الجديد ، أحمد عبدالله الطيار ، حولية كلية أصول الدين (2005)، القاهرة، العدد (22)، المجلد الثالث، ص 12.

والكهرباء ، وعصر الذرة ، ويقال في التاريخ : العصر القديم، والعصر المتوسط ، والعصر الحديث " [1] .

وما نقصده في بحثنا هذا، هو العصر الحالي الذي نعيش فيه، حيث انتشر فيه الخطاب الإسلامي المتشدد والذي سلك فيه أصحابه منهج التعسير لا التيسير، وهو خلاف الشرع، وهذا ما سنبينه في بحثنا هذا إن شاء الله تعالى .

مفهوم التيسير و التعسير :

التيسير لغة : مصدر من يَسَّر يُيَسِّر تَيْسِيراً، يقال : يَسَّرَ الأمر ؛ إذا سهله ولم يعسره ولم يشق على غيره أو على نفسه، قال تعالى : (و لقد يَسَّرنا القرآن للذكر فهل من مدَّكِر) القمر:14.

قال ابن كثير : " أي سَهَّلْنا لفظه ويسرنا معناه لمن أراده ليتذكر الناس " [2].

ومن معاني اليسر : اللين والانقياد، يقال : يَاسَرَ زَيْد عَمْراً ؛ أي لاينه وانقاد إليه ، ومن معانيه كذلك : التهيئة. نقول: استيسر له الأمر : تهيأ، ومنه قوله تعالى:(فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى) الليل:7، أي نهيئه إلى العمل الصالح [1].

إذا فمعاني التيسير تدور بين السهولة واللين والانقياد والتهيئة، وكلها تدل على دفع الحرج والمشقة والتعسير، ومن هذه المعاني قوله تعالى : (يريد الله

---

[1] ـ المعجم الوسيط ، ص : 604 .

[2] ـ تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، 4/ 379 .

[1] ـ تفسير الطبري ، 30/ 221 ، تفسير ابن عاشور ، 30/ 384 .

يراجع في المعنى اللغوي للفظ التيسير : لسان العرب لابن منظور، مادة (يسر) ، القاموس المحيط للفيروزآبادي، ص : 643 ، 644 ، المعجم الوسيط ، 1064 ، مختار الصحاح للرازي ، ص : 742 .

بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) البقرة : 185، قال ابن عاشور في تفسيره : " لأنه يريد بكم اليسر عند المشقة "[2]، وقال الزمخشري : " يريد الله أن ييسر عليكم، ولا يعسر، وقد نفى عنكم الحرج في الدين " [3].

معنى التيسير اصطلاحا :

التيسير : هو الشيء الذي يجعل يسير الحصول، أي غير شديد [4] .

واليسر في شريعة الإسلام هو: تشريع الأحكام على وجه روعيت فيه حاجة المكلف وقدرته على امتثال الأوامر واجتناب النواهي مع عدم الإخلال بالمبادئ الأساسية للتشريع [5].

ومن هنا يتأكد لنا أن التيسير هو مناقض للتعسير ، فما معنى التعسير ؟

معنى التعسير لغة :

التعسير : من العُسْر، وهو نقيض اليُسْر، و العُسْرَة والإِعْسَار : قِلَّة ذات اليد، وأصل هذه المادة يدل على صُعُوبَةٍ وشِدَّةٍ، يقال : عَسُرَ الأَمْر عُسْراً وعَسَارَة، فهو عَسِير، أي صعب شديد، وعَسِرَ الأمر وتَعَسَّر واسْتَعْسَرَ، وعَسِر الرجل : قَلَّ سَمَاحُه في الأمور، وعَسَرْت الغريم أَعْسُره، طَلَبْتُ منه الدَّين على عُسْرِه [6].

---

[2] ـ تفسير ابن عاشور ، 2/ 175 .

[3] ـ تفسير الكشاف للزمخشري ، 1/ 228 .

[4] ـ تفسير ابن عاشور ، 30/ 383 .

[5] ـ مظاهر التيسير في الشريعة الإسلامية ، كمال جودة أبو المعاطي ، ص:7 .

[6] ـ القاموس المحيط ، ص : 564 ، مختار الصحاح للرازي ، ص : 431 ، المعجم الوسيط ، ص : 600 .

قال ابن منظور: العسر الضِّيق والشِّدّة والصّعوبة، وهو نقيض اليسر[7].

معنى التعسير اصطلاحا :

أن يشدد الإنسان على نفسه أو على غيره في أمر الدين بالزيادة على المشروع ، أو في أمر الدنيا بترك الأيسر ما لم يكن إثما .

بعد ضبط مصطلحات عنوان بحثنا هذا، يمكن القول بأن معالم موضوع البحث قد تحددت بدراسة الخطاب الإسلامي في زماننا الحالي، وبيان ميزة التيسير في ديننا ونبذ التعسير والتشديد، وهو الذي سنوضحه في المحاور التالية .

المحور الثاني : أدلة الشرع في الدعوة إلى التيسير لا التعسير

اليُسْر مقصد من مقاصد الدِّين الكبرى ، جعله الله تعالى أساساً لكل ما أمر به ونهى عنه في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وأمرنا أن نلتزمه في فهمنا للدين والعمل به والدعوة إليه، فما هي النصوص من كتاب ربنا وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم ، وعمل الصحابة رضي الله عنهم .

أولا : من القرآن الكريم

جاء في الذكر الحكيم آيات كثيرة تنص على اليسر ونفي العسر، والتخفيف والرحمة، ودفع الحرج والمشقة، وسأقتصر على بعضها مع الإشارة إلى تفسيرها .

1 ـ قال تعالى : (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) البقرة : 185 .

هذه الآية وإن كانت واردة في شأن الرخص في الصيام، إلا أن المراد منها العموم في كل الأحكام التشريعية. وهذا ما أكده رشيد رضا في تفسيره لهذه

---

[7] ـ لسان العرب لابن منظور ، مادة (عسر) .

الآية حيث قال : " يريد فيما شرعه من هذه الرخصة في الصيام وسائر ما يشرعه لكم من الأحكام ، أن يكون دينكم يسرا تاما لا عسر فيه " [1] .

وعلى نسق هذه الآية يأتي قوله تعالى : (لاَ يُكَلِّفُ الله نَفْسًا إِلَّا مَاءَاتَاهَا سَيَجْعَلُ الله بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا) الطلاق: 7 ، وقوله سبحانه :(فَإِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا) الشرح : 6. وغيرها من الآيات .

قال سيد قطب في تفسير هاتين الآيتين: "فالأمر منوط بالله في الفرج بعد الضيق، واليسر بعد العسر "[2]، وقال:"إن العسر لا يخلو من يسر يصاحبه ويلازمه ... وكان اليسر مصاحبا للعسر، يرفع إصره ، و يضع ثقله "[3] .

فتبين من هذه الآيات أن الله تعالى قد أراد لعباده بتشريع الأحكام اليسر لا العسر، وبالتالي دفع عنهم المشقة والعنت والحرج بتشريعه للرخص، ومن هذا المعنى أخذ الفقهاء القاعدة الشرعية : "المشقة تجلب التيسير" .

2 ـ قال تعالى : (يُرِيدُ الله أَن يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَ خُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفًا)[1] النساء : 28 .

هذه الآية تتحدث عن ترخيص الله تعالى بنكاح الإماء المؤمنات لمن عجز عن زواج الحرائر، وهو تخفيف منه سبحانه، وقد بين القرطبي هذا المعنى ،

---

[1] ـ تفسير المنار ، 1/ 140 .

[2] ـ تفسير الظلال لسيد قطب ، 6/ 3603 .

[3] ـ المصدر نفسه ، 6/ 3930 .

[1] ـ ينظر في تفسير هذه الآية : تفسير ابن كثير ، 1/ 522 ، تفسير المنار ، 2/ 55 .

فقال : " المراد بالتخفيف نكاح الأمة، أي لما علمنا ضعفكم عن الصبر عن النساء خففنا عنكم بإباحة الإماء " [2].

لقد وافق ضعف الإنسان أمام شهوة النساء هذا التخفيف من الله تعالى، فلم يضيق عليه في أمر النساء، حيث أباح له عند الضرورة نكاح الإماء، وبالتالي دفع عنه الحرج والضرر، وهو ما نستشفه من قول الفقهاء: "الضرورات تبيح المحظورات " .

3 ـ قال تعالى : (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) الحج : 78 .

لقد امتن الله تعالى على هذه الأمة بأن رفع عنها الحرج " فهذا الدين كله بتكاليفه وعباداته وشرائعه ملحوظ فيه فطرة الإنسان و طاقته " [3].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : " أي ما كَلَّفكم ما لا تطيقون وما ألزمكم بشيء يشق عليكم إلا جعل الله لكم فرجا و مخرجا " [4] .

ومن هنا يتبين لنا أن هذا الدين كله يسر لا عسر فيه .

ثانيا : من السنة النبوية

لقد وصف الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بأنه رحيم بأمته رؤوف بهم ، حريص على دفع كل ما فيه مشقة عليهم ، قال تعالى : (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) التوبة : 128 .

---

[2] ـ تفسير القرطبي ، 5/ 149 .

[3] ـ تفسير الظلال ، 4/ 2446 .

[4] ـ تفسير ابن كثير ، 3/ 261 . ينظر : تفسير السعدي ، ص : 547 .

و قد دعى النبي صلى الله عليه وسلم بسنته القولية والفعلية وفي سيرته كلها إلى التيسير و رفع الحرج و دفع العنت و المشقة ، و من هذه الأحاديث نذكر ما يلي :

1 ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه " [1]، لقد عقد البخاري في صحيحه بابا بعنوان " الدين يسر " تناول فيه هذا الحديث و أشباهه .

2 ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت : " ما خُيِّرَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اخْتَارَ أَيْسَرَهُما ما لم يكن إِثْما " [2].

هذا الحديث يدلنا على منهج اليسر الذي سلكه نبينا صلى الله عليه وسلم في حياته كلها .

3 ـ عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إن الله لم يَبْعَثْني مُعَنِّتا ولا مُتَعَنِّتا و لكن بَعَثَنِي مُعَلِّما مُيَسِّرا " [3].

4 ـ عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إِنَّ الله رَفِيق يحب الرِّفْق و يُعْطِي على الرِّفق ما لا يعطي على العُنف " [4].

---

[1] ـ رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب الدين يسر ، 1/ 15 .

[2] ـ رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الحدود ، باب إقامة الحدود و الانتقام لحرمات الله ، 8/ 16 ، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل ، باب مباعدته للآثام ، 2/ 1813 .

[3] ـ رواه مسلم، كتاب الطلاق، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقا إلا بنية، 2/ 1104 .

[4] ـ رواه مسلم ، كتاب البر و الصلة و الآداب ، باب فضل الرفق ، 4/ 2004 .

فهذه المجموعة من الأحاديث تدل دلالة واضحة على سماحة شريعة الله ، ويسر دينه ، وسعة أحكامه ، فقد رفع الله الحرج عن هذه الأمة ولم يكلفها إلا بما تطيق .

وهناك مجموعة أخرى من الأحاديث فيها إنكار من الرسول صلى الله عليه وسلم على من سلك سبيل التعسير والتشديد والغلو في الدين ، بل كان يرشدهم ويردهم إلى المنهج الصحيح من التيسير والتخفيف والرفق ، ومن هذه الأحاديث :

1 ـ قال صلى الله عليه وسلم:"يَسِّروا ولا تُعَسِّروا،وبَشِّرُوا ولا تُنَفِّروا" [5].

فهذا منهج عام من الرسول صلى الله عليه وسلم لأمته حتى يقتدوا به في دعوتهم إلى دين الله.

2 ـ ودخل يوما على عائشة رضي الله عنها، وعندها الحَوْلَاء بِنْت تُوَيْت، وكانت تَذْكُر من عِبَادَتِها، وأنها لا تنام الليل، فَرَدَّها صلى الله عليه وسلم إلى المَنْهَج الوَسَط قائلا : " مَهْ عَلَيْكُم مِنَ الأعمال ما تُطِيقُون، فإن الله لا يَمَلّ حَتَّى تَمَلُّوا " [1].

---

[5] ـ رواه البخاري ، كتاب الأدب ، باب قول النبي صلى الله عليه و سلم يسروا و لا تعسروا ، 7/ 101 .

[1] ـ رواه البخاري ، كتاب الإيمان ، باب أحب الدين إلى الله أدومه ، 1/ 16 ، و مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد أو يقعد ، 1/ 542 .

3 ـ و لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم مُعَاذا و أبا موسى إلى اليمن قال لهما : " يَسِّرا ولا تُعَسِّرا ، وبَشِّرا ولا تُنَفِّرا " [2].

4 ـ يقول عليه الصلاة والسلام : " لا تُشَدِّدوا على أنفسكم ، فَيُشَدَّد عليكم فَإِنَّ قَوْماً شَدَّدوا على أنفسهم فَشُدِّد عليهم " [3].

إن التشديد على النفوس بالعبادة نَهْج أَخَذ به المُتَعبِّدون أنفسهم في الأمم الخالية ، ولم يكن منهجا مُوَفَّقا ، ولذلك حَذَّرَنا صلى الله عليه وسلم مِنْ سُلُوكِه .

5 ـ وفي قِصَّة الرَّهْط الذين أتوا إلى بيوت النبي صلى الله عليه وسلم يَسْأَلُون عن عبادته، فَلَمَّا أُخْبِروا كأنهم تَقَالُّوها ، فقالوا : و أين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم وقد غُفِر له ما تَقَدَّم من ذنبه وما تَأَخَّر ؟ قال أحدهم : أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال الآخر: أنا أصوم الدَّهْر ولا أُفْطِر، وقال الآخر : أَعْتَزِل النِّساء فلا أتزوج أبدا، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال :"أَمَا والله إِنِّي لَأَخْشَاكُم لله وأتقاكم له، لَكِنِّي أصوم وأفطر، وأصلي وأنام، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سُنَّتِي فليس مِنِّي "[4]

لقد استنكر النبي صلى الله عليه وسلم هذا الفِعْل من هؤلاء لأن فيه نوع من الغُلُوِّ و التَّنَطُّع في الدِّين ، بل جعله خروجا عن سنته و هديه .

---

[2] ـ رواه البخاري ، كتاب المغازي ، باب بعث أبي موسى و معاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع ، 5/ 107 .

[3] ـ رواه أبو داود ، كتاب الأدب ، باب في الحسد ، 5/ 133 ، رقم : 4904 ، قال الهيثمي : " رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن أبي العيار و هو ثقة " مجمع الزوائد ، 6/ 256 .

[4] ـ رو اه البخاري ، كتاب النكاح ، باب الترغيب في النكاح ، 6/ 116 . ومسلم ، كتاب النكاح ، باب استحباب النكاح ، 2/ 1020 .

6 ـ في قصة الأعرابي الذي بال في المسجد، فقد وَجَّه النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة بقوله: "دَعُوه، واهْرِقُوا على بَوْلِه ذَنوبًا من ماء، فإنَّما بُعِثْتُم مُيَسِّرين، ولم تُبْعَثُوا مُعَسِّرين " [1].

ثالثا : منهج الصحابة في الأخذ بالتيسير

لم يخرج الصحابة عن هدي نبيهم صلى الله عليه وسلم، فهم النُّسخة التطبيقية لسيرته عليه الصلاة والسلام، يقول عمير بن إسحاق : " أدركت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مِمَّن سَبَقَنِي مِنْهُم، فَلَمْ أَرَ قَوْماً أيسر سيرة، ولا أقل تشديدا منهم " [2].

فقد كان الصحابة أشد الناس بعدا عن التنطع و التشدد و التكلف في الدين ، حتى ممن نعتقد أنه أشدهم في دين الله تمسكا كعمر بن الخطاب رضي الله عنه .

فعن يحيى بن سعيد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج في ركب فيهم عمرو بن العاص حتى وَرَدُوا حَوْضاً ، فقال عمرو : يا صاحب الحوض هل تَرِدُ حَوْضَكَ السِّبَاع ؟ فقال عمر : لا تخبرنا فَإِنَّا نَرِدُ على السباع و تَرِدُ عَلَيْنا [3] .

---

[1] ـ رواه البخاري ، كتاب الوضوء ، باب صب الماء على البول في المسجد ، رقم : 220 .

[2] ـ رواه الدارمي ، باب كراهية الفتيا ، 1/ 47 .

[3] ـ رواه مالك في الموطأ ، كتاب الطهارة ، باب الطهور للوضوء ، 1/ 37 .

وَمَرَّ يَوْماً مَعَ صَاحِبٍ لَه فَسَقَطَ ماء من مِيزَاب ، فقال صَاحِبُه : يا صاحب الميزاب ماؤك طاهر أم نجس ؟ فقال عمر : يا صاحب الميزاب لا تخبرنا ثم تابع السير [4] .

وقد روى صاحب الحِلْيَة أثرا ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنَّه قال:"من كان مُسْتَناً فَلْيَسْتَن بمن قد مات،أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا خير هذه الأمة، أبرّها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم " [5].

هذا نموذج من منهج الصحابة في بُعْدِهِم عن التشدد والتعسير في الأمور كُلِّها، والأخذ بالتيسير علما وعملا وتوجيها وإرشادا وإفتاءً، وقد سار التَّابِعُون على هذا النَّهْج، قال سفيان الثوري رحمه الله:"إِنَّما الفِقْه الرُّخْصَة مِنْ ثِقَة، أَمَّا التَّشْدِيد فَيُحْسِنُه كُلُّ أَحَد " [1] .

فالفقيه في نظر الإمام سفيان الثوري من يُرَاعِي التيسير على عباد الله ، شرط أن يكون ثقة في علمه و دينه .

من خلال هذا العرض للنصوص من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وسيرة الصحابة والتابعين ، يَتَّضِح جَلِياً أن مِن أعظم المقاصد في تشريع ديننا اليسر في الأحكام ، وإذا ضاق الأمر اتسع والمشقة تجلب التيسير ، ومن خالف هذا المنهج فقد خالف السنة وعمل السلف الصالح، وهو من المبتدعة في دين الله تعالى .

---

[4] ـ إغاثة اللهفان ، 1/ 249 .

[5] ـ حلية الأولياء لأبي نعيم ، 1/ 305 . و إسناد هذا الأثر : حسن .

[1] ـ جامع بيان العلم و فضله لابن عبد البر ، 1/ 784 .

المحور الثالث : ملامح من التيسير في الخطاب الديني

لما كان الخطاب يتكون من ثلاثة عناصر، يكمل بعضها بعضا، وهي : المُخَاطِب والمُخَاطَب والخِطَاب – وهو الكلام المُخَاطَبُ به –، كان لزاما أن تتكامل عناصره في عملية الخطاب التي تلتزم اليسر والسهولة .

ومن ملامح هذا التيسير في الخطاب :

أولا : اللين في الكلام

لقد بعث الله موسى وهارون عليهما السلام إلى فرعون الذي قال:"أنا ربكم الأعلى" و قال:"ما علمت لكم من إله غيري" ، و مع ذلك أمرهما بحسن مخاطبته باللين فقال تعالى : " فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى " .

فإذا كان هذا الأسلوب الرباني وهو اللين في الكلام قد أُمِرْنا به و نحن نخاطب أمثال فرعون الذي قال أنا ربكم الأعلى، فما بالكم ونحن نخاطب من قال سبحان ربي الأعلى .

ثانيا : الرفق و الرحمة بالمُخَاطَب

قال تعالى : " فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك " آل عمران 159 .

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية : " إني أرى صفة الرسول صلى الله عليه وسلم في الكتب المتقدمة، إنه ليس بِفَظٍّ ولا غَلِيظٍ ولا صَخَّابٍ في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح " [1] .

[1] ـ تفسير ابن كثير ، 1/ 453 .

وهذا هو الرفق بعينه مع أصحابه ، وهي سنة تركها لنا لنقتدي بها فيما نخاطب به غيرنا .

وقد جسد هذا الرفق في أسمى معانيه في فتح مكة حين قال لقومه – الذين حاربوه و طردوه و فعلوا به ما فعلوا – : لا أقول لكم إلا كما قال يوسف لإخوته " لا تثريب عليكم، اليوم يغفر الله لكم " إذهبوا فأنتم الطلقاء .

وقال صلى الله عليه و سلم : " إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله ، و يعطي عليه ما لا يعطي على العنف " [1] .

قال صلى الله عليه وسلم : " إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه و لا ينزع من شيء إلا شانه " [2]

ثالثا : عدم الإطالة و التخفيف في الخطاب

في رواية عن عمَّار بن ياسر – رضي الله عنه – قال : " أمَرَنا رسولُ الله – صلَّى الله عليْه وسلَّم – بإقْصارِ الخُطَب" [3] .

و في حديث جابِرِ بن سَمُرَةَ – رضِي الله عنْه – قال: " كنت أُصَلِّي مع رسولِ الله – صلَّى الله عليْه وسلَّم – فكَانَتْ صَلاتُه قَصْدًا وخُطْبَتُه قَصْدًا" [4].

---

[1] ـ رواه البخاري ، رقم : **6927** و **6395** ، و رواه مسلم ، رقم : **2165** .

[2] ـ رواه مسلم . رقم :**2594** .

[3] ـ رواه أبو داود ، رقم : **5008** ، وسنده ضعيف.

[4] ـ ـ رواه مسلم ، رقم : **866** .

وفي رواية: "كان رسولُ الله – صلَّى الله عليْه وسلَّم– لا يُطِيلُ المَوْعِظةَ يوم الجُمُعةِ إنَّما هُنَّ كَلِماتٌ يَسِيراتٌ " [1] .

وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يُذَكِّرُ كُلَّ خَمِيس ، فقال له رجل : يا أبا عبد الرحمن إنا نُحِبُّ حديثك ونَشْتَهِيه، وَلَوَدَدْنا أَنَّك حَدَّثْتَنا كل يوم، فقال : ما يَمْنَعُنِي أن أُحَدِّثَكم إلا كَرَاهِيَة أن أُمِلَّكُم، " إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يَتَخَوَّلُنا بالموعظة مَخَافة السَّآمَة علينا " [2] .

قال عبد الله بن مسعود : "كنت أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت صلاته قصدا و خطبته قصدا " [3] .

وعن عمر رضي الله عنه أنه كان يقول على المِنْبَر: "أيها الناس لا تُبَغِّضُوا الله إلى عِبَادِه ، فقيل كيف ذاك أَصْلَحَك الله، قال: يَجْلِس أَحَدُكُم قَاصًّا فَيُطَوِّلُ على النَّاس حَتَّى يُبَغِّض إليهم ما هُم فيه" [4] .

وقال ابن عبد البر في بهجة المجالس : كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول : "إن هذه القلوب تَمَلُّ كما تَمَلُّ الأَبْدَان ، فَابْتَغُوا لَهَا طَرَائِف الحِكْمَة " [5].

وقديما قالوا : " خَيْرُ الكَلَامِ مَا قَلَّ وَ دَلَّ "

---

[1] ـ رواه أبو داود ، رقم : **1107** .

[2] ـ أخرجه البخاري في صحيحه ، رقم : **67** ، و أخرجه مسلم في صحيحه ، رقم : **2821** .

[3] ـ أخرجه مسلم، في الجمعة، باب : تخفيف الصلاة والخطبة، **(2/ 591)**.

[4] ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري ، **4/ 170** .

[5] ـ بهجة المجالس ، لابن عبد البر ، ص : **107** .

وقد أثبتت الدراسات العلمية على أن متوسط قدرة الإنسان على الاستماع تقدر بـ 20/ 25 دقيقة .

رابعا : استعمال الحكمة و الموعظة الحسنة في الخطاب

قال تعالى : "أدع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن " النحل : 125 .

قال الشوكاني: "هي المقالة المشتملة على الموعظة الحسنة التي يستحسنها السامع وتكون في نفسها حسنة باعتبار انتفاع السامع بها " [1].

قال عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني : "هي الترغيب بالعاقبة الحسنة والسعادة الخالدة لمن اتبع سبيل ربه، والترهيب من العاقبة السيئة الوخيمة والشقاوة والتعاسة لمن أبى أن يتبع سبيل ربه، **بشرط عرضها بأسلوبٍ حسنٍ جميلٍ مقبولٍ لا تنفر منه الطباع السوية** " [2]

و قال تعالى : " و قل لعبادي يقولوا التي هي أحسن " الإسراء : 53 .

قال ابن كثير : " يأمر تبارك وتعالى عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم أن يأمر عباد الله المؤمنين أن يقولوا في مخاطبتهم ومحاورتهم الكلام الأحسن والكلمة الطيبة " [3] .

و قال تعالى : " و قولوا للناس حسنا " البقرة : 83 .

---

[1] ـ فتح القدير، 3/ 291 .

[2] ـ فقه الدعوة إلى الله، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، 1/ 609 .

[3] . تفسير ابن كثير ، 3/ 52 .

من اللطائف مع هذه الآية " وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً " أن هناك قراءة أخرى سبعية لحمزة والكسائي:" "وَقُولُوا لِلنَّاسِ حَسَناً"

فالقول الحسن يشمل : الحُسن في هيئته، وفي معناه .

ففي هيئته : أن يكون باللطف، واللين، وعدم الغلظة، والشدة .

وفي معناه : بأن يكون خيراً؛ لأن كل قولٍ حسنٍ فهو خير؛ وكل قول خير فهو حسن.

الخاتمة :

في ختام هذا البحث – نرجو الله تعالى أن يحسن ختامنا –، نلخص أهم نتائج هذا البحث فيما يلي :

أولا : الخطاب الإسلامي المُتَّزِن هو من أهم الوسائل التي يُبَلِّغ بها المسلم دينه .

ثانيا : توجيه الخطاب الديني لابد أن يتقيد بالضوابط الشرعية من كتاب الله و سنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

ثالثا : التيسير في الدين من أهم المميزات التي تميز الخطاب الإسلامي، و من خرج عنه فقد خرج عن الدين .

رابعا : التعسير في الدين مخالف لشريعة الإسلام ، ومن سلك هذا المسلك في خطابه الإسلامي فقد ابتدع في الدين ، وخرج عن سنة المصطفى الأمين صلى الله عليه وسلم .

خامسا : إن الآثار السيئة التي يجلبها خطاب التعسير في الإسلام واضحة للعيان ، و ما يحدث للمسلمين من دمار و خراب لدليل على ذلك .

سادسا : إن من الأسباب التي تُنَفِّر المُخاطَبين عن الإسلام :

1 ـ الغلظة و الشدة في الخطاب .

2 ـ استعمال الكلمات الجارحة و المُنَفِّرَة .

3 ـ التطويل المُمِلُّ ، و الأسلوب المُخِلُّ .

سابعا : نشر ثقافة التيسير والتبشير والسماحة بين المسلمين، عن طريق الوسائل السمعية والبصرية والمكتوبة .

قائمة المصادر و المراجع :

1/ إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن قيم الجوزية، دار الآثار، مصر، ط 1 (2005 م).

2/ تأويل الخطاب الديني في الفكر الحداثي الجديد، أحمد عبد الله الطيار، حولية كلية أصول الدين (2005) القاهرة، العدد (22)، المجلد الثالث .

3/ تفسير القرآن العظيم لابن كثير، دار قتيبة، بيروت، لبنان .

4/ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار عالم الكتب،الرياض، السعودية .

5/ تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، تونس، ط (1984 م) .

6/ تفسير الكشاف، للزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان .

7/ تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 1 (2000 م) .

8/ جامع بيان العلم وفضله، يوسف ابن عبد البر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .

9/ الجامع لأحكام القرآن،لأبي عبد الله القرطبي،الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط(1987 م).

10/ حلية الأولياء، لأبي نعيم، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .

11/ سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط 1 (1997 م) .

12/ سنن الدارمي، أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق الشيخ محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1 (1996 م)

13/ صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار العلوم الإنسانية، دمشق، سورية، ط 2 (1993 م) .

14/ صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، ط (1992) .

15/ فتح القدير ، للإمام الشوكاني ، تحقيق أحمد عبد السلام ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

16/ فقه الدعوة إلى الله، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، 1425هـ – 2004م.
17/ في ظلال القرآن، لسيد قطب، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط 12 (1986 م) .
18/ القاموس المحيط، للفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 2 (1987 م) .
19/ لسان العرب،لا بن منظور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط 1 (1996 م) .
20/ المعجم الوسيط، د/ إبراهيم أنيس وآخرون، دار الأمواج، بيروت، لبنان، ط 2 (1990م).
21/ مختار الصحاح للرازي، دار الكتاب العربي، دمشق، سورية .
22/ مظاهر التيسير في الشريعة الإسلامية، كمال جودة أبو المعاطي مصطفى، دار الفاروق الحديثة، مصر، ط (1007 م) .
23/ مختصر تفسير المنار، رشيد رضا، تعليق الشيخ محمد أحمد كنعان، مراجعة زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 1 (1984 م) .
24/ الموطأ، للإمام مالك بن أنس، برواية يحيى بن يحيى الليثي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي .

و الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على خير الأنام سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه إلى يوم يبعثون .